المدارس النظامية في الحضارة الإسلامية: دراسة التعليم المؤدلج

الباحث : حمد ابراهيم حميد جاسم

موظف على ملاك مديرية تربية كركوك : مدرس

البريد الإلكتروني Email : hemedeljboury123@gmail.com

الكلمات المفتاحية: المدارس النظامية – التعليم المؤدلج.

كيفية اقتباس البحث

جاسم، حمد ابراهيم حميد ، المدارس النظامية في الحضارة الإسلامية: دراسة التعليم المؤدلج،مجلة مركز بابل للدراسات الانسانية، تشرين الثاني ٢٠٢٦، المجلد:١٦ ،العدد:١١ .

هذا البحث من نوع الوصول المفتوح مرخص بموجب رخصة المشاع الإبداعي لحقوق التأليف والنشر (Creative Commons Attribution) تتيح فقط للآخرين تحميل البحث ومشاركته مع الآخرين بشرط نَسب العمل الأصلي للمؤلف، ودون القيام بأي تعديل أو استخدامه لأغراض تجارية.

مفهرسة في Indexed
IASJ

مسجلة في Registered
ROAD

Nizamiyah Schools in Islamic Civilization: A Study of Ideological Education

Researcher: Hamad Ibrahim Hamid Jassim

Employee at the Kirkuk Education Directorate: Teacher

Keywords : Nizamiyya schools - ideological education.

How To Cite This Article

Jassim, Hamad Ibrahim Hamid , Nizamiyah Schools in Islamic Civilization: A Study of Ideological Education,Journal Of Babylon Center For Humanities Studies, November2026,Volume:16,Issue 11.

This is an open access article under the CC BY-NC-ND license (http://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0/

This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International License.

Abstract:

This research examines the phenomenon of the Nizamiyya schools, which emerged in Islamic civilization during the fifth century AH (-١٨٠٠ ١٨٠٠CE), as official educational institutions founded by the Seljuk vizier Nizam al-Mulk al-Tusi. It focuses on their ideological dimension and their role in shaping ideological education in the Islamic Middle Ages. These schools emerged within a complex political and cultural context, in

which the Seljuk state sought to consolidate the Ash'ari-Shafi'i Sunni school of thought in opposition to esoteric Shi'ite movements, particularly the Ismailis.

The research adopts an analytical historical approach to trace the emergence and development of the Nizamiyya schools, analyze their organizational structure and educational curricula, and assess their intellectual and cultural impact on Islamic society at the time. It has been demonstrated that these schools were not merely neutral academic institutions, but rather political and intellectual tools employed within the state-sponsored "Sunni Revival" project, which sought to unify the doctrinal and jurisprudential identity of Sunnis and marginalize other schools, particularly the Hanbali and Shi'i schools. The research demonstrated that these schools were characterized by strict administrative organization and sustainable funding through endowments, along with direct supervision from the state's political and religious authorities. This ensured their stability and continuity and established ideological education as a tool for reshaping collective consciousness according to a unified official vision. This educational experience also influenced subsequent education systems in the Islamic world, and its influence extended to the Islamic West with the Almohad state, making it one of the most prominent milestones in the relationship between authority and knowledge in medieval Islam.

المخلص:

يتناول هذا البحث ظاهرة المدارس النظامية التي ظهرت في الحضارة الإسلامية خلال القرن الخامس الهجري، كمؤسسات تعليمية رسمية أسسها الوزير السلجوقي نظام الملك الطوسي،

مركـزًا علـى بعـدها الأيـديولوجي ودورهـا فـي تشـكيل التعلـيم المـؤدلج فـي العصـور الوسـطى الإسلامية، وقد جاءت هذه المدارس في سياق سياسي وثقافي معقّد، سعت فيه الدولة السلجوقية إلـى ترسيخ المذهب السني الأشعري الشافعي في مواجهة التيارات الشيعية الباطنية، ولا سيما الإسماعيلية.

اعتمد البحث المنهج التحليلي التاريخي لرصد نشأة المدارس النظامية وتطورها، وتحليل بنيتها التنظيمية ومناهجها التعليمية، وصولاً إلى تقويم أثرها الفكري والثقافي في المجتمع الإسلامي آنذاك. وقد تبين أن هذه المدارس لم تكن مجرّد مؤسسات علمية محايدة، بل كانت أدوات سياسية وفكرية موظفة ضمن مشروع "الإحياء السني" الذي رعته الدولة، من خلال توحيد الهوية العقدية والفقهية لأهل السنة وتهميش المذاهب الأخرى، خاصة الحنبلية والشيعية.

أظهر البحث أن هذه المدارس امتازت بتنظيم إداري صارم، وتمويل مستدام عبر الأوقاف، إلى جانب الإشراف المباشر من السلطات السياسية والدينية في الدولة، مما ضمن استقرارها واستمراريتها، وكرّس التعليم المؤدلج بوصفه أداة لإعادة تشكيل الوعي الجمعي وفق رؤية رسمية موحدة. كما أثّرت هذه التجربة التعليمية على أنظمة التعليم اللاحقة في العالم الإسلامي، وامتد تأثيرها إلى الغرب الإسلامي مع الدولة الموحدية، ما جعلها إحدى أبرز المحطات في مسار العلاقة بين السلطة والمعرفة في الإسلام الوسيط.

مقدمة:

لقد شهدت الحضارة الإسلامية تطوراً ملحوظاً في مؤسسات التعليم وتنظيمها، وكان من أبرز هذه المؤسسات المدارس النظامية التي أنشأها الوزير السلجوقي الشهير نظام الملك

الطوسي (ت ٤٨٥هـ/١٠٩٢م) في القرن الخامس الهجري، وقد مثّلت هذه المدارس تحولاً جذرياً في بنية التعليم الإسلامي، إذ انتقل التعليم من حلقات المساجد إلى المؤسسات التعليمية الرسمية المنظّمة، تتبنى منهجاً دراسياً محدداً، وتموّل من قبل الدولة.

حيث أن هذه النقلة لم تكن مجرد تطور إداري أو تنظيمي، بل حملت أبعاداً فكرية ومذهبية، حيث وظفت المدارس النظامية –وفق عدد من الباحثين– كوسيلة لنشر مذهب أهل السنة والجماعة، خاصة في ظل الصراع العقدي مع الشيعة الباطنية والإسماعيلية في تلك الفترة. ومن هنا، فإن التعليم في هذه المدارس لم يكن محايداً، بل كان يحمل بعداً أيديولوجياً واضحاً، يهدف إلى ترسيخ توجهات سياسية ودينية تخدم سلطة الدولة.

يسعى هذا البحث إلى دراسة المدارس النظامية بوصفها نموذجاً للتعليم المؤدلج في الحضارة الإسلامية، وتحليل الأهداف السياسية والعقدية الكامنة وراء تأسيسها، مع دراسة أثرها على الفكر الإسلامي والحياة الثقافية في القرون الوسطى الإسلامية.

أهمية البحث:

تنبع أهمية هذا البحث من الجوانب التالية:

١.إبراز الدور السياسي للتعليم في الحضارة الإسلامية، من خلال دراسة كيفية استخدام المؤسسات التعليمية كأداة لترسيخ السلطة السياسية والعقائدية.

٢.تسليط الضوء على المدارس النظامية كإحدى أبرز المحطات في تطور التعليم الإسلامي المؤسسي، وفهم أبعادها الفكرية والتنظيمية.

٣.كشف العلاقة بين السلطة والمعرفة في التاريخ الإسلامي، خاصة في العصور السلجوقية، وأثر ذلك على استقلالية المؤسسة العلمية.

٤.إسهام البحث في رفد الدراسات المقارنة حول "التعليم المؤدلج" في العصور الإسلامية والحديثة، بما يساعد على فهم جذور تسييس التعليم في السياقات الإسلامية.

أهداف البحث

يسعى البحث إلى تحقيق الأهداف التالية:

١.التعرف على معنى المدارس النظامية.

٢.معرفة متى ظهرت المدارس النظامية ولماذا أُنشئت.

٣.فهم كيف كانت هذه المدارس تُدرّس الدين بطريقة محددة.

٤.توضيح كيف أثّرت هذه المدارس في المجتمع والفكر الإسلامي.

٥.بيان علاقة التعليم في هذه المدارس بالحكم أو السياسة في ذلك الوقت.

➢نشأة المدارس النظامية وتطورها:

شهدت عهد الدولة السلجوقية، نهضة علمية كبيرة وقد شُيِّدت مجموعة من المدارس عُرفت بالمدارس النظامية، نسبة إلى الوزير الكبير "نظام الملك"، الذي كان له دور محوري في دعم الحركة العلمية وتنظيم التعليم، وتُعد المدرسة النظامية في بغداد من أبرز وأكبر هذه المؤسسات، وقد أُسِّست بجهود مشتركة بين السلطان ألب أرسلان ووزيره نظام الملك، حيث مثّلت هذه المدرسة نقطة تحول في تنظيم التعليم العالي في العالم الإسلامي. اعتمدت المدارس النظامية

اعتمادًا كبيرًا على الأوقاف في تمويلها واستمرارها، رغم أن الدولة تكفّلت ببناء منشآتها وتجهيزها بكل الوسائل التي تحتاجها[١].

وقد افتتحت أول مدرسة نظامية رسمية ببغداد عام ٤٥٩ هـ / ١٠٦٦ م، وسميت تيمّناً باسم مؤسسها "المدرسة النظامية" رغم ظهور مدارس قبل ذلك في قرون سابقة (مثل مدرسة الإمام أبي حفص البخاري في القرن الثالث الهجري، والمدارس الصادرية والرشيّة بدمشق في حدود ٣٩١ هـ) إلا أن النظاميات كانت أول نموذج مؤسسي رسمي للدولة وإنشاء وتنظيم التعليم عبر أوقاف ومباني مستقلة وسياسات واضحة، بدأت نشأة المدارس النظامية بشكل مؤسّس تحت راية الدولة السلجوقية في القرن الخامس الهجري، حيث على أثر تولّي السلطان ألب أرسلان للحكم عام ٤٥٥ هـ، عيّن الوزير الحسن بن علي الطوسي، المعروف بـ«نظام الملك»[٢].

وقد تم تأسيس أول مدرسة نظامية في بغداد سنة ٤٥٩ هـ/ ١٠٦٦ م، ثم انتشرت سريعًا في خراسان والعراق بأكثر من عشرات المؤسسات تدعمها الدولة بالأوقاف وتخصيص نفقات للطلاب والمدرسين مع توفير سكن ومكتبات ، أما أهداف المدارس النظامية فتمثلت في: تدريب كوادر فقهية مؤهّلة، وضمان الأداء الشرعي المنضبط، كما وفرت المدارس بيئات علمية للمدرسين للتأليف والإشراف والبحث، إلى جانب توسيع الأفق الفكري للطلاب عبر الاطلاع على تراث حضاري غني، وكان التعيين في المناصب التدريسية متدرّجًا وعبر معايير قيمة: الإلمام بالفقه الحديث والقدرة على الجدل والاجتهاد العلمي، وهذه مراتب رسمية وفق نظام تنظيمي داخلي ، مع مرور الزمن، وتحول السلطة إلى سلاطين آخرين مثل نور الدين محمود في بلاد الشام، تواصلت وتجدّدت العناية بالمدارس النظامية التي بلغت ذروة نموها بين القرنين الخامس والسادس

الهجريين، إذ أصبحت المؤسسات التعليمية في دمشق وحلب ودمشق المدينة تشهد توسعًا ملحوظًا، بما يقارب بناء ٩٢ مدرسة خلال فترة من ٥٤٩ إلى ٦٥٧ هـ (فترة الزنكيين والأيوبيين) — أي بمعدل مؤسسة تقريبًا كل سنة — مما يعكس أثر المدرسة النظامية كنموذج للدولة في التعليم.

➢أهم المدارس النظامية ومواقعها

من أبرز المدارس النظامية نذكر:

١.المدرسة النظامية في بغداد[٣]:

وشُيّدت المدرسة النظامية ببغداد في الجانب الشرقي من المدينة، وهو الموقع الذي لا يزال يُعدّ من أرقى وأفخم مناطق بغداد حتى اليوم وقد خُصص لها موقع متميز يطل على نهر دجلة، وبدأ العمل على بنائها في شهر ذي الحجة من عام ٤٥٧هـ / ١٠٦٥م، واستمر التشييد قرابة عامين حتى اكتمل في يوم السبت، العاشر من شهر ذي القعدة سنة ٤٥٩هـ / ١٠٦٧م، تميّزت المدرسة النظامية بكونها من أوائل المؤسسات التعليمية ذات الطابع الرسمي المنظم، وقد احتضنت عدداً من كبار العلماء والأساتذة البارزين في مختلف العلوم الإسلامية، من أبرزهم الإمام أبو إسحاق الشيرازي، وأبو علي الحسن بن إبراهيم الفارقي، وأبو القاسم عبد الله بن محمد بن محمد العكبري (توفي سنة ٥١٦هـ / ١١٢٤م)، صاحب كتاب الانتصار في مشكل القرآن. كما درّس بها أبو العباس الجرجاني (توفي ٤٨٢هـ / ١٠٩٠م)، صاحب الشافي والتحرير وكتاب الأدباء[٤].

ومن أعلامها أيضاً: عبد الله بن إبراهيم الخبري، وأبو الحسن بن أبي الصقر الواسطي الأديب (توفي ٤٩٢هـ / ١١٠٠م)، الذي ألّف شرح الحماسة وجمع دواوين شعرية مثل ديوان البحتري والمتنبي. كما تتلمذ في النظامية على يد الإمام الشيرازي عدد من العلماء المرموقين، منهم أبو القاسم علي بن أبي يعلى المظفر محمد العلوي الحسيني الدبوسي (توفي ٤٨٢هـ / ١٠٩٠م)، والإمام أبو حامد الغزالي (توفي ٥٠٥هـ / ١١١١م)، أحد أبرز المفكرين في التاريخ الإسلامي[٥].

٢.المدرسة النظامية في نيسابور:

وكانت مدينة نيسابور إحدى أبرز الحواضر العلمية في العالم الإسلامي، وقد تميزت بكثافة مدارسها ومكانتها الفكرية، حتى أن السلاطين السلاجقة، وفي مقدمتهم طغرلبك وألب أرسلان، أولَوا المدينة أهمية كبرى، فجعلوها عاصمة للسلطنة بعد بغداد، العاصمة العباسية، وحين تولى الوزير نظام الملك ديوان الوزارة، حرص على إعادة الاستقرار إلى نيسابور، فدعا النازحين والهاربين، ممن كانوا قد غادروها في عهد الوزير الكندري، إلى العودة إليها[٦].

ومن أبرز العائدين كان الإمام أبو المعالي الجويني، المعروف بـ"إمام الحرمين"، الذي لمّا رجع إلى نيسابور أنشأ بها مدرسة على نمط المدرسة النظامية في بغداد وقد ارتبطت نظامية نيسابور بنظيرتها في بغداد بعلاقات وطيدة، شملت تبادل الأساتذة والطلاب، والتنسيق في نشر العلوم والدعاية الثقافية، وهو ما استمر لفترة طويلة قبل أفول نجمها[٧].

وعلى الرغم أن المصادر التاريخية لا تحدد تاريخ تأسيس نظامية نيسابور بدقة، فإن الثابت أن الإمام الجويني درّس فيها قرابة ثلاثين سنة دون أن ينافسه أحد، إلى أن توفي سنة ٤٧٨هـ/١٠٨٦م. ومن المعروف أن الجويني، قبل مباشرته للتدريس، جلس في الجامع المنيعي،

وهو المكان الذي كان يشغله والده، حيث تولى الإمامة والخطابة ومجالس الوعظ والتدريس، حتى تحوّلت حلقاته العلمية إلى مرجعية كبرى في المدينة، وقد حضر دروسه قرابة ٣٠٠ إلى ٤٠٠ طالب، واشتهر بسلاسة أسلوبه، وتأليفاته التي ذاعت بين طلبته، ومن أبرزها: البرهان في أصول الفقه، والنهاية، والشامل، والإرشاد في أصول الدين. كما ألّف لدار العلم النظامية عدة كتب حملت اسمها مثل: الغياثي، والرسالة النظامية، والنظامي، وقد لاقت هذه المؤلفات ترحيبًا واسعًا من الأوساط العلمية والسياسية، كان الجويني من المجتهدين المستقلين، لا يلتزم تقليديًا بمقولات الشافعي أو الأشعري، ما جعله يمثل تيارًا فكريًا متجددًا داخل المدرسة النظامية[٨].

٣.المدرسة النظامية في البصرة:

حيث أن المدرسة النظامية في البصرة كانت من حيث الاتساع تفوق نظيرتها في بغداد، كما أنها كانت متاخمة لضريح الصحابي الزبير بن العوام، مما أضفى عليها مكانة روحية ومعنوية متميزة وقد حافظت هذه المدرسة على مكانتها العلمية وجذبت الطلاب إليها حتى أواخر العهد العباسي، وتحديدًا حتى زمن الخليفة المستعصم بالله. إلا أن المدرسة دُمّرت لاحقًا، ونُقل ركامها إلى داخل مدينة البصرة، ومن بين الأسماء البارزة المرتبطة بها أبو الفضل الأنباري، الذي يُعد من كبار تلامذة الإمام الشيرازي، وصهر فخر الإسلام أبو بكر الشاشي، حيث تولّى القضاء في البصرة وقام بالتدريس في نظاميتها حتى وفاته عام ٥٠٣هـ/١١١١م[٩].

➢خصائص التعليم في المدارس النظامية

من خصائص التعليم في المدارس النظامية، نذكر ما يلي: [١٠]

١.توجّه مذهبي أحادي:

وقد أُنشئت المدارس النظامية ضمن إطار فكري عقائدي موحّد، حيث خضعت العملية التعليمية لتوجيه الدولة السّلجوقية، بهدف تكريس المذهب الرسمي للدولة وإقصاء المذاهب الأخرى، وذلك من خلال فرض مناهج تعكس العقيدة السُّنية الأشعرية خاصةً، كما تمثل في سياسة "نظام الملك".

٢.إشراف مباشر من رأس الحكم:

ثم تولّى نظام الملك، الوزير السّلجوقي البارز، الإشراف المباشر على إدارة هذه المدارس، بما يشمل أدق تفاصيل عملها، بدءًا من اختيار المواقع، وصولًا إلى تحديد المضامين التعليمية وأطر التدريس، ما يعكس مركزية القرار في العملية التربوية.

٣.احتكار التعيينات والقبول:

مُنحت إدارة المدارس النظامية، وخاصة تحت سلطة نظام الملك وأبنائه، صلاحيات حصرية في[١١]:

-تعيين المدرسين بناءً على التوجه العقائدي والكفاءة.

-اختيار الطلبة وفق معايير تخدم الهدف السياسي والمذهبي للمؤسسة.

٤.تكفّل شامل باحتياجات الطلبة والمعلمين:

-امتازت المدارس النظامية بمنظومة رعاية متكاملة شملت:

-توفير رواتب ثابتة للطلاب.

-تأمين السكن والإعاشة.

-تغطية نفقات المدرّسين.

أن هذه الرعاية جعلت التعليم متاحًا للمتميزين من غير القادرين ماليًّا، وساهمت في جذب الطلبة من مختلف الأقاليم(١٢).

٥.تمويل مستدام من خلال الأوقاف:

واعتمدت المدارس النظامية على حبس الأوقاف كمصدر تمويلي دائم ومستقل، يضمن استمرار العملية التعليمية دون انقطاع، مما وفر لها استقلالية مالية نسبية وأعطاها قدرة تنظيمية قوية.

٦.نموذج مؤسسي جديد في التعليم الإسلامي:

وتُعدّ المدارس النظامية أولى المؤسسات التعليمية المنظمة في العالم الإسلامي، من حيث بنيتها الإدارية، وتكامل خدماتها، مما جعلها:

–نقطة تحوّل نوعية في بنية التعليم التقليدي.

–قدوةً لمؤسسات لاحقة مثل دور العلم والمدارس السلطانية في العصور الأيوبية والمملوكية.

٧.تأثير حضاري واسع النطاق:

لم تقتصر آثار هذا النموذج على المشرق الإسلامي، بل انتقلت إلى الغرب الإسلامي في العصر الموحدي، حيث تبنّت الدولة الموحدية بعضًا من هذه الأسس التعليمية في مؤسساتها.

➢مفهوم التعليم المؤدلج في السياق النِّظامي

ويشير مصطلح التعليم المؤدلج إلى توظيف المؤسسات التعليمية لنقل منظومة فكرية أو عقائدية محددة تخدم توجهات معينة، سواء كانت سياسية أو دينية أو ثقافية. وفي سياق المدارس النظامية التي أُنشئت خلال العصر السلجوقي في القرن الخامس الهجري، برز هذا النمط من

التعليم بوصفه أداةً لبناء هوية معرفية موحدة، عبر اعتماد مناهج محددة وتوظيف معلمين ينتمون إلى اتجاهات فكرية متجانسة، غالبًا في إطار المذهب السني السائد آنذاك، ولا سيما الشافعي والعقيدة الأشعرية(١٣).

كذلك يعرف التعليم المؤدلج هو عملية مقصودة تهدف إلى تنشئة المتعلمين على أيديولوجيا معينة، دينية كانت أو سياسية أو مذهبية، بطريقة منظمة وممنهجة، بحيث يُعاد تشكيل وعي المتعلمين وفقاً لهذه الرؤية، ويُستخدم هذا النمط من التعليم أداةً لصناعة هوية جماعية منسجمة مع توجهات الدولة أو النخبة الحاكمة.

أن التعليم المؤدلج يتميز بعدة سمات، منها:

-الإقصاء المعرفي: إقصاء أو تهميش التيارات الفكرية المخالفة أو غير المرغوب فيها.

-الانتقائية في عرض المعلومة: تقديم معلومات متحيّزة تؤيد المذهب أو الاتجاه الرسمي.

-الاستغلال الرمزي للدين: توظيف الرموز الدينية والشخصيات المذهبية لتدعيم السلطة.

ويُلاحظ أن هذا التوجه لم يكن سمة فريدة في المدارس النظامية، بل مثّل امتدادًا لتقاليد تعليمية سابقة وظفت التعليم لخدمة أهداف ثقافية أو دينية، كما في حلقات المساجد والكتاتيب. لكنّ ما ميّز المدارس النظامية هو التنظيم المؤسسي الدقيق، واعتماد الأوقاف لضمان الاستمرارية، وتعيين المدرّسين وفق معايير تتعلق بالكفاءة والانتماء الفكري، ما جعل البعض يعتبرها تجربة "مؤدلجة" من حيث البنية والوظيفة، دون أن يعني ذلك إقصاءً منهجيًا للمعارف الأخرى(١٤).

➢النظاميات ودورها في أدلجة الفكر الإسلامي:

ولقد كان الهدف المعلن بوضوح من تأسيس المدارس النظامية هو ترسيخ ثقافة السلطة السياسية الرسمية في مواجهة التيارات الشيعية بوجه عام، وبشكل خاص ضد الدعوة الإسماعيلية الفاطمية. وقد سعت هذه المدارس إلى تعزيز المذهب الرسمي للدولة، وإبرازه كمرجعية متميزة عن باقي الاتجاهات العقائدية، بما في ذلك الفرق الأشعرية، وذلك انسجامًا مع التوجهات العقائدية والسياسية للوزير نظام الملك(١٥).

وشكّلت المدارس النظامية، التي أسسها الوزير السلجوقي نظام الملك، أداة فعالة في خدمة التوجّه العقدي والسياسي للسلطة، من خلال فرض نمط تعليمي رسمي يكرّس المذهب الشافعي في الفقه والعقيدة الأشعرية في الأصول، وتهميش المذاهب المنافسة، خصوصًا الحنابلة والشيعة. وقد كان تعيين الأساتذة ومناهج التدريس يتم تحت إشراف مباشر من الوزير، مما جعل النظاميات مؤسسات مؤدلجة تخدم مشروع "الإحياء السني" في مواجهة التيارات العقدية المخالفة، لا سيما الدعوة الشيعية الإسماعيلية(١٦).

وقد برزت هذه المدارس الأشاعرة بوصفهم الطليعة الفكرية لأهل السنة، لما امتازوا به من توظيف للفلسفة والمنطق في مواجهة العقائد الشيعية، وهو ما لم تتقنه المذاهب السنية الأخرى بنفس القوة، وكان نظام الملك يحرص على اختيار المدرسين من بين أتباع هذا الاتجاه، مع ضمان ولائهم السياسي والفكري، وتقديم الحوافز لمن يناصر المذهب الرسمي، في حين يُقصى المعارضون، كما حدث مع طرد مدرس النحو علي الفصيحي من نظامية بغداد بعد اكتشاف تشيعه(١٧).

قد تجاوز تأثير النظاميات حدود العراق وإيران، ليصل إلى المغرب الأقصى، حيث شكّلت زيارة محمد بن تومرت، مؤسس دولة الموحّدين، للنظامية ببغداد ولقاؤه بأبي حامد الغزالي وأبي الحسن الكيا الهراسي، نقطة تحوّل في تبنيه الفكر الأشعري، والذي عاد به إلى بلاد المغرب، فتبنته الدولة الموحدية رسميًا، وجمعت بذلك بين الفقه المالكي والعقيدة الأشعرية، ورفضت بشدة أي اتجاه عقدي مخالف، خاصة السلفي(١٨).

وفي بغداد، اضطر العديد من العلماء الحنابلة إلى التراجع عن مذاهبهم والانضواء تحت المذهب الشافعي طمعًا في مناصب التعليم والقضاء، وهو ما أشار إليه أبو الوفا بن عقيل بأسف، معتبرًا أن ذلك نتاج لهيمنة الأشعرية في ظل رعاية نظام الملك(١٩).

بذلك، لعبت النظاميات دورًا محوريًا في تشكيل نخبة علمية موالية للدولة، تولّت مناصب عليا في التدريس والإفتاء والقضاء، وأسهمت في تعميم خطاب ديني رسمي موحّد داخل المجال السني، عبر ما يمكن تسميته بـ"أشعرة" السواد الأعظم من المسلمين السنة، وقمع التنوع المذهبي الذي كان يميز العالم الإسلامي في تلك الحقبة.

الخاتمة:

تُعدّ مسألة إصلاح التعليم العالي وتحريره من قوالب الأدلجة المذهبية ضرورةً حيوية لتهيئة بيئة فكرية حرة، تُعلي من شأن العقل وتُسهم في إرساء أسس النهضة الحضارية حيث إن فرض مسار مذهبي أو عقدي واحد بقوة السلطان لا يؤدي إلا إلى إضعاف الحراك الفكري، والحد من التنوع المعرفي، وهو ما يُعد من أبرز مؤشرات جمود الفكر وتراجع إنتاجه فالمجادلات العلمية، حين تكون حرة ومنفتحة، تُثري المشهد الثقافي وتدفع نحو تجديد متواصل للمعرفة.

من هنا، فإن هذه الدراسة تمثل محاولة لتأصيل نقدي يكشف عن جذور الاختلالات البنيوية التي رافقت التجربة التعليمية، خاصة حين خضعت لهيمنة السلطة السياسية وسُيّرت وفق مقاصدها الإيديولوجية. إن تفكيك تلك العلاقة بين السلطة والمعرفة، واقتفاء آثارها في مختلف المحطات التاريخية، يُعدّ مدخلًا ضروريًا لفهم طبيعة العلل التي لا تزال تَحول دون نهوض التعليم العربي الإسلامي المعاصر، وتجعل من الإصلاح الحقيقي أمرًا مشروطًا بتحرّر الفكر من التبعية والوصاية.

الهوامش

(١)علي محمد الصلابي، "المدارس النظامية في العهد السلجوقي وأثرها في العالم الإسلامي". الجزيرة نت،٢٠٢١، منشور على الموقع: https://www.aljazeera.net/blogs//٢٠٢١/٧/٥/المدارس-النِّظامية-في-العهد-السلجوقي

(٢) بوعبدلي المسعود عبد الوهاب، أهم المدارس النظامية في العصر السلجوقي في القرن الخامس الهجري، مجلة العلوم الانسانية والحضارة، ٢٠٢٢، ص ١١.

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مراجعة و تصحيح محمد يوسف الدقاق، ج٨ ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٧ ، ص ٣٨٠.

(٤) ابن كثير، البداية و النهاية، تحقيق عبد هللا بن عبد المحسن التركي ، ط١ ،ج١٦ دار هجر ، الجيزة ، مصر ، ١٩٩٨، ص٢١٥.

(٥)ابن خلكان أبي العباس شمس الدين بن أحمد، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، بدون سنة نشر، ص١٦٠.

(٦)ابن رجب الحنبلي، الذيل على طبقات الحنابلة ، تحقيق عبد الرحمان بن سليمان العثيمين ج١ ، ط١، مكتبة العبيكان ،مكة المكرمة ، ،٢٠٠٥، ص٢٤ – ٢٨.

(٧)عبد الهادي رضا محبوبة ، نظام الملك الحسن بن علي بن إسحاق الطوس ي ، ط١ ، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة ،١٩٩٩ ص٣٧٩ .

(٨)ابن خلكان أبي العباس شمس الدين بن أحمد، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، بدون سنة نشر، ص١٦٠.

(٩)عبد الهادي رضا محبوبة ، نظام الملك مرجع سابق، ص ٣٨٦.

(١٠)كتاب سياسات نامة للنظام الملك السلجوقي يعبر بشكل واضح عن توجهات المؤلف وآرائه ضدّ التشكيلات المذهبية الاخرى واعتبارها خبيثة وأعداء الملك والإسلام، راجع سياسة نامة، ص٢٣٤ ص٢٨٤.

(١١)ابن العماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق عبد القادر أرناؤوط ومحمود الرناؤوط ، ج٩ ،ط١، دار ابن كثير ، دمشق و بيروت ، ١٩٨٩، ص١٨٦.

(١٢)Ghrab، S، Ibn Arafa et la Malikisme en IfriKya au VIII/XIV Eme Siècle، Tunis ، ١٩٩٢، pp ٢١٣ – ٢٣٠

(١٣)محمد الناصر صديقي، المدارس النظامية: نموذجا للتعليم المؤدلج في الحضارة الإسلامية، مجلة كلية التربية / جامعة واسط، العدد العشرون، ٢٠١٨، ٢٥٩-٢٩٤.

(١٤) عبد العزيز الدوري، مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي، دار الطليعة، بيروت، ط٢، ١٩٨٤، ص ١١٠.

(١٥)ابن الأثير، الكامل في التاريخ، دار صادر بيروت/لبنان ١٩٦٦م، ج١٠، ص١٢٤ ص١٢٥.

(١٦) عبد المجيد أبو الفتوح بدوي، التاريخ السياسي والفكر، ١٩٨٨، ص١٨٤.

(١٧) عبد المجيد أبو الفتوح بدوي، المرجع السابق، ص ١٨٥.

(١٨)السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي. طبقات الشافعية الكبرى. تحقيق: محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو. القاهرة: دار هجرة، جـ٤، صـ٧١.

(١٩)ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم. تحقيق: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا. بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٢م، جـ٩، صـ٢٥١.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

أولاً المصادر العربية :

١.ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مراجعة و تصحيح محمد يوسف الدقاق، ج٨ ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٧ ، ص ٣٨٠.

٢.ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم. تحقيق: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا. بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٢م، جـ٩، صـ٢٥١.

٣.ابن الجوزي، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، تحقيق محمد أنس الخن و كامل محمد الخراط ، ج١٩ ، ط١ ، دار الرسالة العالمية ، دمشق ، ٢٠١٣ ، ص ١٧٧ –١٧٨.

٤.ابن العماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق عبد القادر أرناؤوط ومحمود االرناؤوط ، ج٩ ،ط١، دار ابن كثير ، دمشق و بيروت ، ١٩٨٩، ص١٨٦.

٥.ابن خلكان أبي العباس شمس الدين بن أحمد، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، بدون سنة نشر، ص١٦٠.

٦.ابن رجب الحنبلي، الذيل على طبقات الحنابلة ، تحقيق عبد الرحمان بن سليمان العثيمين ج١ ، ط١، مكتبة العبيكان ،مكة المكرمة ، ،٢٠٠٥، ص٢٤ – ٢٨.

٧.ابن كثير، البداية و النهاية، تحقيق عبد هلا بن عبد المحسن التركي ، ط١ ،ج،١٦ دار هجر ، الجيزة ،

٨.بوعبدلي المسعود عبد الوهاب، أهم المدارس النظامية في العصر السلجوقي في القرن الخامس الهجري، مجلة العلوم الانسانية والحضارة، ٢٠٢٢، ص ١١.

٩.السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي. طبقات الشافعية الكبرى. تحقيق: محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو. القاهرة: دار هجرة، جـ٤، صـ٧١.

١٠.عبد العزيز الدوري، مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي، دار الطليعة، بيروت، ط٢، ١٩٨٤، ص ١١٠.

١١.عبد المجيد أبو الفتوح بدوي، التاريخ السياسي والفكر، ١٩٨٨، ص١٨٤.

١٢.عبد الهادي رضا محبوبة ، نظام الملك الحسن بن علي بن إسحاق الطوس ي ، ط١ ، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة ،١٩٩٩ ص٣٧٩ .

١٣.علي محمد الصلابي، "المدارس النظامية في العهد السلجوقي وأثرها في العالم الإسلامي". الجزيرة نت،٢٠٢١، منشور على الموقع: //https://www.aljazeera.net/blogs/٢٠٢١/٧/٥/المدارس-النِّظامية-في-العهد-السلجوقي

١٤.كتاب سياسات نامة للنظام الملك السلجوقي يعبر بشكل واضح عن توجهات المؤلف وآرائه ضدّ التشكيلات المذهبية الاخرى واعتبارها خبيثة وأعداء الملك والإسلام، راجع سياسة نامة، ص٢٣٤ ص٢٨٤.

١٥.محمد الناصر صديقي، المدارس النظامية: نموذجا للتعليم المؤدلج في الحضارة الإسلامية، مجلة كلية التربية / جامعة واسط، العدد العشرون، ٢٠١٨، ٢٥٩-٢٩٤.

ثانياً : المصادر الأنكليزية

1.Ghrab، S،Ibn Arafa et la Malikisme en IfriKya au VIII/XIV Eme Siècle، Tunis، ١٩٩٢، pp٢١٣- ٢٣٠

Sources and References

The Holy Quran

I. Arabic Sources:

١. Ibn al-Athir, *Al-Kamil fi al-Tarikh* (The Complete History), reviewed and corrected by Muhammad Yusuf al-Daqqaq, Vol. 8, 1st ed., Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, Beirut, 1987, p. 380.

٢. Ibn al-Jawzi, Abd al-Rahman ibn Ali ibn Muhammad, *Al-Muntazam fi Tarikh al-Muluk wa al-Umam* (The Systematic History of Kings and Nations), edited by Muhammad Abd al-Qadir Ata and Mustafa Abd al-Qadir Ata, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, Beirut, 1st ed., 1992, Vol. 9, p. 251.

٣. Ibn al-Jawzi, *Mir'at al-Zaman fi Tarikh al-A'yan* (Mirror of the Times: A History of Notable Figures), edited by Muhammad Anas al-Khan and Kamil Muhammad al-Kharrat, Vol. 19, 1st ed., Dar al-Risalah al-Alamiyyah, Damascus, 2013, pp. 177–178.

٤. Ibn al-Imad, *Shadharat al-Dhahab fi Akhbar man Dhahab* (Fragments of Gold: Accounts of Those Who Have Passed), edited by Abd al-Qadir al-Arna'ut and Mahmud al-Arna'ut, Vol. 9, 1st ed., Dar Ibn Kathir, Damascus and Beirut, 1989, p. 186.

.٥Ibn Khallikan, Abu al-Abbas Shams al-Din ibn Ahmad, *Wafayat al-A'yan wa Anba' Abna' al-Zaman* (Obituaries of Notable Figures and Accounts of the People of the Era), edited by Ihsan Abbas, Dar Sader, Beirut, n.d., p. 160. 6. Ibn Rajab al-Hanbali, *Al-Dhayl ʻala Tabaqat al-Hanabilah* [Supplement to the Biographical Accounts of the Hanbalis], edited by ʻAbd al-Rahman ibn Sulayman al-ʻUthaymin, Vol. 1, 1st ed., Al-Obeikan Library, Makkah, 2005, pp. 24–28.

.٧Ibn Kathir, *Al-Bidayah wa al-Nihayah* [The Beginning and the End], edited by ʻAbd Allah ibn ʻAbd al-Muhsin al-Turki, 1st ed., Vol. 16, Dar Hajar, Giza.

.٨Buʻabdali Masʻud ʻAbd al-Wahhab, "The Most Important Nizamiyyah Madrasas in the Seljuk Era during the Fifth Century AH," *Journal of Humanities and Civilization*, 2022, p. 11.

.٩Al-Subki, Taj al-Din ʻAbd al-Wahhab ibn ʻAli ibn ʻAbd al-Kafi, *Tabaqat al-Shafiʻiyyah al-Kubra* [The Major Biographical Accounts of the Shafiʻis], edited by Mahmud Muhammad al-Tanahi and ʻAbd al-Fattah Muhammad al-Hilu, Cairo: Dar Hajar, Vol. 4, p. 71.

ʻ .١٠Abd al-ʻAziz al-Duri, *Introduction to Arab Economic History*, Dar al-Taliʻah, Beirut, 2nd ed., 1984, p. 110.

ʻ .١١Abd al-Majid Abu al-Futuh Badawi, *Political History and Thought*, 1988, p. 184.

ʻ .١٢Abd al-Hadi Rida Mahbubah, *Nizam al-Mulk al-Hasan ibn ʻAli ibn Ishaq al-Tusi*, 1st ed., Al-Dar al-Masriyyah al-Lubnaniyyah, Cairo, 1999, p. 379.

ʻ .١٣Ali Muhammad al-Sallabi, "The Nizamiyyah Madrasas in the Seljuk Era and Their Impact on the Islamic World." Al Jazeera Net, 2021, published on the website: https://www.aljazeera.net/blogs/2021/7/5/المدارس-النِّظامية-في-العهد-السلجوقي

١٤. The book *Siyasatnama* (Book of Government), by the Seljuk vizier Nizam al-Mulk, clearly expresses the author's orientations and his views against other sectarian groups—which he deems malevolent and enemies of both the state and Islam. See *Siyasatnama*, pp. 234, 284.

١٥. Mohamed Ennaceur Seddiki, "The Nizamiyya Madrasas: A Model of Ideologized Education in Islamic Civilization," *Journal of the College of Education / University of Wasit*, Issue 20, 2018, pp. 259–294.